[٧]

وأخيراً:

بأصوات العقلاء نواجه

الأعداء.. والعملاء.. والدهماء

أما أن مصر مستهدفة بمخطط «إمبريالى -صهيونى» للتفتيت -ومعها كل بلاد العالم الإسلامى- فتلك حقيقة قد كتبت فيها الوثائق والكتب، وعقدت حولها الندوات، وألقيت المحاضرات.. ولقد سبق وجمعت ونشرت العديد من وثائق وكتابات هذا المخطط لتفتيت مصر وبلاد العالم الإسلامى..

وفى وثائق هذه المخططات -من المستشرق الصهيونى «برناردلويس» -فى أربعينيات القرن العشرين- إلى «بن جوريون» و«شاريت» -فى الخمسينيات- إلى «استراتيجية إسرائيل فى الثمانينيات».. إلى محاضرة «أرييل شارون» فى الثمانينيات.. إلى الندوة التى عقدت فى إسرائيل فى التسعينيات- فى كل هذه الوثائق هناك إجماع على أن تفتيت مصر - بواسطة الطائفية الدينية.. واللعب بورقة أقباط مصر -هو مفتاح تفتيت كل عالم الإسلام! وبنص وثائق هذا المخطط، فإن الحد الأدنى هو **«تقسيم مصر إلى دولتين على الأقل، واحدة إسلامية والثانية قبطية»**- هكذا فى مخطط «برناردلويس» منذ الأربعينيات- أما الحد الأقصى لهذا

المخطط- كما رسمته استراتيجية إسرائيل فى الثمانينيات- أى حتى بعد معاهدة «السلام»؟!- فهو **«رؤية دولة قبطية- مسيحية فى صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية- مصرية، لا سلطة مركزية، كما هو الوضع الآن، هى المفتاح»**!.. مفتاح تفتيت كل العالم الإسلامى.. فنص هذه الوثائق يقول بالحرف: «فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون»!![1]..

وإذا كان البعض يرهبنا بادعاء أننا أسرى لنظرية ذهنية المؤامرة، فإننا نقول لهم: إن المؤامرة هى تدبير سرى.. **أما مخطط التفتيت لمصر فهو معلن على رءوس الأشهاد.. فنحن بإزاء قرار «إمبريالى -صهيونى» معلن، تصدر لتنفيذه تشريعات، وترصد له ميزانيات، وتؤلف لخدمته جمعيات ومراكز أبحاث، ونرى ثمراته على أرض الواقع فى الممارسة والتطبيق!..**

وعندما يكون الأمر كذلك، فإن الاحتكام إلى العقل وأصوات العقلاء يكون هو طوق النجاة من تدابير الأعداء والعملاء والغوغاء.. ونحن نحمد الله أن أصوات العقل والعقلاء هى الغالبة فى واقعنا المصرى -رغم تركيز الإعلام الغربى والصهيونى على دعاوى العملاء والغوغاء- فعلى حين يبرز الإعلام الغربى دعاوى القلة العميلة من «أقباط المهجر» ومزاعم القلة المرتزقة فى داخل مصر، لا نراه يشير -ولو مجرد إشارة- إلى أصوات الحكمة والعقل، التى تنطلق من خبرة التاريخ الواحد لأبناء مصر، كى تحافظ على «جوهرة وجوهر» الوحدة

(١) انظر كتابنا (الإسلام والتعددية.. التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة) طبعة دار السلام -القاهرة سنة ٢٠١١م.. وكتابنا (الأقليات الدينية والقومية.. تنوع ووحدة؟ أم تفتيت واختراق؟) ص ٦٧ سلسلة «فى التنوير الإسلامى» طبعة نهضة مصر- القاهرة سنة ١٩٩٨م. وكتابنا [الغرب والإسلام] طبعة مكتبة وهبة سنة ٢٠١١م.

الوطنية لكل أبناء مصر.. وإذا كان استقصاء واستقراء كتابات هذه الأصوات العاقلة يحتاج إلى فصول ومجلدات، فإن من المفيد -فى هذا المقام- إيراد النماذج من هذه الكتابات، التى عبر فيها أصحابها عن حقيقة هذه الوحدة الوطنية- والاندماج فى الثقافة العربية، والانصهار فى الحضارة الإسلامية، مع التنوع فى الاعتقاد الدينى..

- فها هو مكرم عبيد باشا (١٣٠٧- ١٣٨٠هـ- ١٨٨٩- ١٩٦١م) -ابن مصر البار، والزعيم الوطنى البارز -يقول- باسم أقباط مصر-: «**نحن مسلمون وطنًا، ونصارى دينًا.. اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصاراً.. واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين**»[١].

- وها هو بابا الأقباط الأرثوذكس «شنودة الثالث» يقول -فى المعلن من آرائه- عن تطبيق الشريعة الإسلامية بمصر: «**إن الأقباط فى ظل حكم الشريعة الإسلامية، يكونون أسعد حالا وأكثر أمنا، ولقد كانوا فى الماضى، حينما كان حكم الشريعة هو السائد.. نحن نتوق إلى أن نعيش فى ظل «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».. إن مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن، وتطبقها علينا. ونحن ليس عندنا ما فى الإسلام من قوانين مفصلة، فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة، ولا نرضى بقوانين الإسلام**»؟![٢].

- أما «الأنبا موسى -أسقف الشباب بالكنيسة «الأرثوذكسية- وهو واحد من حكماء رجال الكهنوت فيها، فإنه هو القائل: «**نحن كأقباط،**

---

(١) دكتور محمد عمارة [الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين] ص ١٥٠. طبعة القاهرة ١٩٩٧م. و[الأقليات الدينية والقومية] ص ٧٧.

(٢) [الأهرام] ٦/ ٣/ ١٩٨٥م.

لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى «إثنى»، لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا. هناك طبعًا التمايز الدينى، لكن يظل الأقوى والأوضح الوحدة العرقية.. ولا نشعر نحن الأقباط بشعور الأقلية البغيض الذى يعانى منه غيرنا. نحن أقلية عددية فقط، ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك شرخًا بيننا وبين إخواننا المسلمين.. من جهة الهوية العربية، نحن مصريون عرقًا، ولكن الثقافة الإسلامية هى السائدة الآن. كانت الثقافة القبطية هى السائدة قبل دخول الإسلام، وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هى جزء من مكوناته.. نحن نحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية، ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية، بالإضافة لوحدة المصير المشترك.. والعلاقة بين الجذور والعروبة علاقة تناصرية، هذه دوائر متداخلة.. وحينما نذكر الأقباط أيام الدولة العثمانية كانوا مع إخوانهم المصريين لهم دور مشترك.. وكثير من الأقباط عملوا وشاركوا بشكل واضح فى الحياة السياسية فى عهد محمد على.. والأقباط دورهم بعد ثورة عام ١٩٥٢م تقلص كجزء من التقلص الشامل فى المشاركة بمصر، كانت هناك سلبية شاملة.. وأنا أعتقد أن الأقباط جزء هام من نسيج الحياة المصرية.. فهم أطباء وصيادلة ومهندسون، وغيرها من المهن، ونسبتهم فى رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العددية فى مصر.. ونحن نرفض المسيحية السياسية، لأن المسيح قال: «مملكتى ليست بالعالم».. ولو حدثت المسيحية

السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية.. ومصر دائمًا دولة مسلمة ومتدينة ولكن بدون تطرف. ولو عشنا كمسلمين وأقباط، وفى إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق.. نحن، فى مصر، نسيج واحد، وسعداء بذلك، وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط.. وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسيحية، ولو فكرنا فى ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة.. إنها فكرة غبية.. فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر. وعندما شاهدت ما يحدث فى العراق، قلت: نجح الصهاينة، وأصبح العراق ثلاث دول.. فهذه الفكرة الصهيونية ليست قبطية»[(١)].

- ومع أصوات العقل والحكمة فى الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، تقف أصوات العقل فى الكنيسة المصرية الكاثوليكية، فيعلن نائب البطرك الكاثوليكى الأنبا «يوحنا قلتة» الانتماء إلى الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، فيقول: «أوافق تمامًا على أن أكون مصرياً.. مسيحياً، تحت حضارة إسلامية، بل أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة.. أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية.. تعلمت أن النبى ﷺ، سمح لمسيحيى اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة.. فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة.. التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى.. والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض.. فكلنا مسلمون حضارة وثقافة.. وإنه ليشرفنى، وأفخر أننى

(١) دكتور سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٥٢٩- ٥٣٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

مسيحى عربى، أعيش فى حضارة إسلامية.. وفى بلد إسلامى.. وأساهم وأبنى، مع جميع المواطنين، هذه الحضارة الرائعة[1]».

وغير أصوات العقل والحكمة التى أعلنها عقلاء رجالات الكنيسة فى مصر -من الأرثوذكس والكاثوليك ومعهم الأنجيليون- هناك أصوات العقل والحكمة التى أعلنها المثقفون المسيحيون، الذين لم تخترق عقولهم مزاعم الأعداء فتحولهم إلى عملاء أو غوغاء..

- فالدكتور غالى شكرى يكتب فيقول: «**إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر.. وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيداً أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية.. إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين.. صحيح أن لدينا حضارات عديدة، من الفرعونية إلى اليوم، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هى الانتماء الأساسى، والذى بدونه يصبح المواطن فى ضياع.. إننا ننتمى -كعرب من مصر- إلى الإسلام الحضارى والثقافى وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق.. وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقًا مع العقيدة الدينية. بالعكس.. لماذا؟ لأن الإسلام وحد العرب، وكان عاملا توحيدياً للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد**»[2].

- والمفكر اليسارى القبطى «أبو سيف يوسف» -صاحب كتاب [الأقباط والقومية العربية]- يسير على هذا الدرب فيعلن: «**لقد ساد علاقات الأقباط بالعرب، والمسلمين بالمسيحيين الاحترام والتعاون، حتى إن الوعظ**

---

(١) [الإسلام والسياسة] ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) صحيفة [الوفد] عدد ٢٨ رجب سنة ١٤١٣هـ- ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.

فى الكنيسة تحول من اللغة اليونانية (التى ظلت تستعمل كلغة للدولة أيضًا من عهد البطالسة إلى عهد البيزنطيين، أى حوالى ألف سنة) إلى اللغة العربية.. فالجماعة الإثنية -بمصر- واحدة، تتكلم اللغة نفسها، ولها ثقافة عامة مشتركة.. وتشكل فى النهاية كيانًا اجتماعياً واحداً..».

- والمفكر الحضارى التقدمى البارز دكتور أنور عبد الملك هو القائل: «إن أى إنسان عاقل يدرك أن مصر هى أقدم أمة وحضارة فى التاريخ قاطبة، ومنذ الفتح العربى الإسلامى دخلنا بالتدريج فى إطار دائرة أسميناها -منذ خمسين عامًا- الدائرة العربية، ولكنها فى الواقع هى دائرة الحضارة الإسلامية، والتى تتمركز حول مبدأ واحد هو «التوحيد»، الذى يتفق بشكل مطلق مع خصوصية مصر. فالحياة العامة فى مصر بها قبول بالسليقة للتوحيد، ناتج من وحدة الأمة المصرية منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وبالتالى فالإطار الحضارى للإسلام يشمل المرحلة القبطية «أى المسيحية المصرية»، كما أن لغتنا هى العربية، لغة القرآن»[1].
- والمفكر الحضارى والمناضل السياسى الدكتور «رؤوف نظمى» (محجوب عمر) هو القائل عن المرجعية الإسلامية للأمة:

«إذا كان هناك خلاف بين الإسلاميين والعلمانيين، فهو خلاف صادر عن الاختلاف فى المرجعية، وهو خلاف فى الأصول، لأن قسمًا من العلمانيين لا يعترف بأن الإسلام هو المرجع.. وهذا الخلاف هو خلاف بين النخبة، أما الأمة فمرجعيتها واحدة، وهى الإسلام، بما له من تراث وعقائد وأصول..

(١) صحيفة [أخبار الأدب] -القاهرة- فى ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٠م.

والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة، فإذا كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام، وإذا كانت كونفوشيوسية، فمرجعيتها الكونفوشيوسية.. آخر كلام كتبه «باسوهيرو ناكاسونى» ست صفحات عن مواجهة المستقبل، ثلاث منها يدعو فيها العالم إلى أن يأتوا إلى اليابان، كى يتعلموا فلسفة اليابان، أى المرجعية العقائدية التى تحقق التماسك لأمة اليابان.

ومهما قالت أوربا عن مرجعيتها أنها علمانية، فهى مسيحية، حتى الفلسفة الماركسية صدرت من تحت عباءة الفلسفة المسيحية.

وبالنسبة لنا، المطلوب أن نعود إلى مرجعيتنا. والنداء ليس موجها إلى النخبة، لتتناقش فى حكاية المرجعية: إسلام؟ أو لا إسلام؟. إن أغلبية الأمة مسلمون.. والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التى لا تزال على مرجعيتها التاريخية، على تراثها الحضارى، وعلى عقيدتها..

نحن لدينا دستور يقول: إن دين الدولة هو الإسلام، وكافة مواد القانون تكون فى حدود الشريعة، والمطلوب فقط ترويج هذا الفهم لإطلاق طاقات الإبداع فى المشروع الحضارى.. الرأى العام «عايز إسلام»، إذن الأمر لا يحتمل مناقشة. الناس كلها مسلمة، والذى يشاهد مظاهر رمضان، ومظاهر يوم الجمعة، ومظاهر يوم العيد صباحًا، يدرك أن المسائل لا تحتاج إلى مناقشة. فنحن -النخبة- الذين بعدنا عن القافلة، وها نحن نعود، فكيف نلحق لنستقل القطار، هذه مشكلة نخبة، مشكلة أقلية، أما أغلبية المجتمع فهى أغلبية مسلمة، على عقيدتها، وعلى صلتها بالشريعة. نحن إذًا مضطرون، حتى لأسباب «براجماتية»، حتى ولو كنا انتهازيين أن نخاطب الناس بلغتهم.. لقد كان عبد الله النديم ومحمد عبده حزبًا وطنياً، كانوا حزب الأمة، ولكن كانوا مسلمين، كانت مرجعيتهم الإسلام، كاملة

دون تردد.. وإذا كانت المرجعية الإسلامية هي مرجعية الجميع، تنتهي المشكلة. فالمطلوب أن يكون مشروعنا حضارياً، من حضارتنا، وحضارتنا إسلامية، فالمطلوب أن يكون الإسلام هو المرجعية العامة للجميع»[١].

● والكاتب الوطني صادق عزيز، هو القائل:

«إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام، ويومها كان المسلمون هم الأقلية، وكان الأقباط هم الأغلبية، ومع ذلك كانت إسلامية، بل إن مصر في تاريخها لم تكن دولة «قبطية» حتى من قبل الإسلام، فهي تقع دائمًا تحت الحكم الروماني أو البيزنطي أو المقدوني، أما الحكم القبطي فلم نسمع عنه أبداً.. وفيما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقًا مع المسيحية وذلك لعدة أسباب، أهمها:

١- أنه إذا كانت الدولة إسلامية، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية، وعلينا قبول ذلك، بل والترحيب به، عملا بقول المسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

٢- أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق في كثير جداً من الأحوال مع شريعة العهد القديم، وهي ما جاء المسيح لا لينقضها.. بل ليكملها..

٣- أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية، عملا بقوله: «مملكتي ليست في هذا العالم» ومن ثَمَّ ترك للحكام أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية، وأمرنا بأن نعطي ما للحكام للحكام..

---

(١) مجلة [منبر الحوار] -بيروت- عدد خريف سنة ١٩٨٩م سنة ١٤١٠هـ- ص ٤١، ٤٢. وانظر كذلك كتابنا [الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين] سلسلة «التنوير الإسلامي» ص٧٩- ٨٢. طبعة القاهرة- نهضة مصر سنة ٢٠٠٠م.

٤ - أنه فيما عدا الأحوال الشخصية، فإن أحكام الشريعة المسيحية لا تصلح إطلاقًا لأن تكون أحكام قوانين وضعية ولا حتى فى الفاتيكان نفسها، بل ولا فى المقر البابوى لبابا الإسكندرية نفسه، ولا أيضًا فى أعماق الأديرة.. فلا يمكن أن نضع قانونًا وضعيّاً فى أى دولة يسمح لمن يُضْرَب بأن يحول لضاربه خده الآخر ليضربه مرة أخرى!.. ولا يمكن أن نضع قانونًا يسمح بالمغفرة للقاتل والسارق والزانى والزانية والمعتدى والنصاب والمحتال، عملا بقول المسيح: لا تدينوا كى لا تدانوا».. أو عملا بقوله للزانية: «هل أدانك أحد، ولا أنا أيضًا أدينك»!.

وإذا سلمنا بكل هذا، فأية شريعة نطلب نحن أقباط مصر أن تسرى فى مصر؟.. هل ننادى بشريعة موسى، التى قال عنها المسيح عشرات المرات: «إن موسى ما قال هذا أو صنع إلا لفساد قلوبكم»، فهل نريد أن نعود لعصر اليهود بفساد قلوبهم، وغلاظة رقابهم؟!

فليثب الأقباط إن كانوا لا يعلمون!..»[١].

***

تلك هى أصوات العقل والحكمة، التى تمثل جمهور النصارى بمصر.. والتى يجب أن نبرزها ونعلنها وننشرها، لنواجه بها مخططات الأعداء.. ومزاعم العملاء.. وغرائز الدهماء..

فبالحكمة والعقل.. وبالحقائق الدامغة للأكاذيب.. وبوجه أمتنا المشرق يجب أن نواجه مخططات الأعداء.. وندحض مزاعم العملاء.. ونرشِّد الجهلاء والدهماء!.

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية] ص ١٣٧ - ١٤١.

وثائق

١ - نص «الخط الهمايوني» العثماني، الذي يقنن مساواة غير المسلمين بالمسلمين.

●●●

٢- نص الفرمان الشامل -الصادر من السلطان العثماني- والذي يقنن استقلال مصر في التشريع والقانون..

●●●

٣- نص حيثيات حكم مجلس الدولة -محكمة القضاء الإداري- في طعن البابا شنودة الثالث على قرار عزله، الذي أصدره الرئيس محمد أنور السادات..

●●●